أهلها الملك العادل و سلموها بالأمان و فتح كوكب حربا في منتصف ذي القعدة و سار صلاح الدين الى القدس و بصحبته أخوه الملك العادل في ثامن ذي الحجة و دخل القدس وحده و صلى فيها عيد الأضحى و توجه أخوه الى مصر ثم توجه صلاح الدين الى عسقلان ثم الى عكا و أصلح شؤونها ثم سار الى دمشق و منها الى الشقيف وقاتل أهلها قتالا شديدا و كان صاحب الشقيف من أكبر الافرنج و أعقلهم فنزل و وقف على خيمة صلاح الدين فأذن له فتكلما بالعربية و ذكر أمير الشقيف لصلاح الدين انه مملوكه وقمت طاعته و انه يسلم اليه البلد بغير تعب و اكلاسوية و شرط على صلاح الدين أن يعطيه موضعا يسكنه بدمشق و شروطا أخر ثم ظهر لصلاح الدين ان جميع ما قاله أمير الشقيف مكر و خديعة فسيره صلاح الدين الى دمشق مرهانا و جاءه الخبر بفتح الشوبك وخبر آخر بقصد الافرنج عكا و بمجيء الأمداد لهم من البحر و انهم افتتحوها عنوة و أنهم قصدوا عسقلان فسار السلطان صلاح الدين اليهم و تقاتلوا ثم وضع السلطان ولده الملك العادل قبالة الافرنج و سار الى عسقلان و خربها لئلا تصلها الافرنج مركزا لهم و يستعينون بذلك على أخذ القدس و قطع طريق مصر على المسلمين و ذلك في اثناء رمضان ٥٨٧ و صعب ذلك على صلاح الدين جدا و لكن وجد أنه لا بد منه لكف شر الافرنج و رحل أهل عسقلان عنها و أمرا بضابهم قلعة الرملة و بلدة لد للصلحة السابقة

الفصل الثاني عشر في مصالحة ملوك الافرنج الصلح الكبير



ثم ان الفرنج لما تحد ثوا مع الملك العادل و طلبوا الصلح على أن يسلموا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان ان في ذلك مصلحة للمسلمين لكثرة ضجرهم من توالي الحروب المدد الطويلة و لكثرة الديون التي عليهم فأذن لأخيه الملك العادل بالقبول و فوض اليه الأمر و كان رأيه عدم الصلح و لكن غلب على الصلح فتم الصلح يوم الاربعاء الثاني و العشرين من شعبان سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة و نادى المنادي ان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة فمن شاء دخل من هذه الى هذه و العكس بغاية الأمن و المسالمة ففرح الفريقان فرحا ما عليه من مزيد و كان يوما مشهودا و كانت المصلحة فيما قضاه الله تعالى و قدره لأن وفاته اتفقت بعد الصلح بيسير و لو كانت اثناء الحروب لكان الاسلام على خطر

الفصل الثالث عشر في وفاته تغمده الله برحمته و اسكنه فسيح جنته

ثم ان صلاح الدين سار الى القدس ثم الى دمشق و فيها أولاده الملك الأفضل و الملك الظاهر و الملك الظافر و أولاده الصغار و كان يحب الاقامة بدمشق أكثر من غيرها ثم حضر من جهة الكرك الملك العادل فخرج صلاح الدين و تلقاه نحو مرحلة عن دمشق ثم خرج أيضا للملاقاة الحاج منتصف صفر ٥٨٩ه و كان يوم موته يوما لم يصب المسلمون بخلة آخر ركوبه ثم مرض مرض الحمى و توفي الى رحمة الله و رضوانه في يوم الاربعاء السابع و العشرين من صفر ٥٨٩ه و كان يوم موته يوما لم يصب المسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)